Atlantic Council

موجز النشرة

# ما بعد السيستاني والخامنئي: خلافة وشيكة ستشكّل الشرق الأوسط

تموز ٢٠١٩ عباس كاظم وباربارا سلاڤن

## مقدمة

ستشكّلُ خلافةُ الشخصيات البارزة في العراق وإيران الشرقَ الأوسطَ وستهزّه.

في العراق، يبلغ عُمْرُ آية اللّه العظمى علي السيستاني ٨٩ سنةً، وهو مرجع التقليد لغالبية المسلمين الشيعة الذين تبلغُ نفوسهم زُهاء مائتي مليون. وفي إيران هذه الأيام، احتفل آية اللّه علي الخامنئي، وهو المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية على مدار العقود الثلاثة الماضية، بعيد ميلاده الثمانين، وسنواته الثلاثين في هذا المنصب.

وتختلف عملياتُ اختيار أخلافٍ لهذين الرجلين اختلافاً كبيراً. بيد أنّ النظامَ الذي تتحقّقُ فيه الخلافة، وكذلك الأخلاف، سيكون له تأثيرٌ كبيرٌ على الدين والسياسة في المنطقة وخارجها. ستساعدُ الخلافةُ في تحديدِ الطريقةِ التي سيكون العراقُ بها مستقلّاً، مهما كان نجاحُ إيران في تصدير نظامِ حكمِها الفريد أخيراً، والطريقة التي تطور بها إيران على نحوٍ صارم برنامجها النووي، وطبيعة علاقات البلدين مع الولايات المتحدة.

تعالج مبادرة العراق في المجلس الأطلسي التحديات الأمنية الراهنة التي يواجهها العراق، وتستعرض السياسات الكفيلة بإطلاق الإمكانيات العراقية اللازمة لتحريك عجلات أي مجتمع ناجح، أي السياسة الجامعة والتطور الاقتصادي والمجتمع المدني النابض

تسعى مبادرة مستقبل إيران في المجلس الأطلسي إلى تشجيع العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران وتكوين معرفة أعمق بإيران ليستند إليها صانعو السياسات والمواطنون في الولايات المتحدة الأمريكية عند دراسة وصياغة مقاربات جديدة تجاه الجمهورية الإسلامية.

## سبب أهمية الخلافة

مع أنّ المرشد الأعلى، بحكم تعريفه، هو الشخصية الأقوى في إيران، فإنه ليس الوحيد الذي يقع على عاتقه اتخاذ القرارات. إذ تتطلب القرارات الكبرى المساومة الشاقة بين الفصائل ومراكز القوى، وحتى قراراتٍ فيلقِ الحرس الثوريّ الإسلاميّ ليست موحّدةً. بأيّ حالٍ، اتخذ الخامنئي نزعةً يمينيةً بشكل عام في السياسة الخارجية والداخلية، داعماً توسّع إيران وانتهاز جميع الفرص للتأثير في المنطقة،

الرئيس الإيراني حسن روحاني ووزير الخارجية محمد جواد ظريف في لقاء مع المرجع الشيعي آية اللّه العظمى علي السيستاني في النجف بالعراق في ١٣ آذار/مارس ٢٠١٩. المصدر: *Sistani.org http://www.sistani.org/english/archive/26259/*

وإخماد التطلعات الديمقراطية في الداخل. لقد أظهر ما سمّاه "المرونة البطولية" في الموافقة على المفاوضات مع الغرب التي أفضت إلى الاتفاق النووي عام ٢٠١٥، المعروف باسم خطة العمل الشاملة المشتركة، لكنه شَعَرَ بأنّ عدم ثقته بالولايات المتحدة كانت في محلها منذ انتخاب الرئيس دونالد ترامب، وانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي.

لقد ظلت إيران أزيد من عام ممتثلةً لخطة العمل الشاملة المشتركة. ومع ذلك، بدأت الآن بخرق الحدود المنصوص عليها في الاتفاق، بسبب الإحباط من الحظر الأمريكي المفروض على النفط، وإخفاق أوروبا في إيجاد وسائل كافية لتجاوز العقوبات. يمكن لخليفة أكثر تشدداً أن يتخذ سياسة مواجهة أشدّ تجاه الولايات المتحدة وخصوم إيران الإقليميين، ولا سيما إذا تصاعدت تصورات إيران عن التهديد من تلك الجهات، بل هناك احتمال حدوث انقلاب إذا كان بقاء النظام على المحكّ، على الرغم من أنّ الراجح أنّ الحرس الثوري الإيراني يختار استمرار امتيازاته الحالية قوةً تكمنُ وراء رجل جبهة ثيوقراطية. ومن ناحية أخرى، من المرجّح أن يرجع خَلَفُ أكثرُ براغماتيةً أو ليبراليةً إلى الامتثال للاتفاق، وقد يكون أكثر استعدادًا لمحاولة تعزيزها إذا غيّرت الولايات المتحدة نهجها في ممارسة أقصى ضغط على إيران.[1]

بالنظر إلى الوضع الراهن، فإنّ شخصية تشبه شخصية الخامنئي ستظهر على الأرجح في المستقبل القريب إذا توفّي المرشد والتوترات تتفاقم مع الولايات المتحدة. وكما يعبّر عن ذلك محمد آية اللّه طبار، وهو أستاذ مشارك في العلاقات الدولية في جامعة تكساس للزراعة والميكانيكا، يقول: "لم يكن المحافظون واثقين جدًا منذ عقود"، مما يعكس تعاظمَ النفوذ الإقليمي لإيران والعداء المستحكم للولايات المتحدة.[2]

1 Collin Brown, Jose Drowne, Christopher Fix, Jonathan Gillespie, Christopher Petersen, and Abdullah Qayomi, "Iran After Khamenei: A Framework for Succession," Bush School of Government and Public Service, Texas A&M University, April 27, 2017.

٢ مقابلة مع باربارا سلافن Barbara Slavin، بتاريخ ١٤ آذار/مارس ٢٠١٩.

المرشد الأعلى آية اللّه علي الخامنئي (إلى اليمين) مجتمعًا بصادق لاريجاني (إلى اليسار) وعلي لاريجاني وحسن روحاني وابراهيم رئيسي. المصدر: صورة ثابتة نقلاً عن موقع مانوتو الإخباري *https://www.manoto.news/news/u1oljx/news33973*

في هذه الأثناء، ثمة قضية مهمة بالقدر نفسه عن خلافة السيستاني في العراق. فمع أنّ السيستاني ليس له دورٌ سياسيّ في الدستور العراقي، فإنّ سلطته الفعلية وتأثيره في السياسة العراقية أمر بالغ الأهمية. وما جعل هذه السلطة قوة من أجل الخير، وقيّدها، هو ضبط النفس عند آية اللّه العظمى. فمنذ العام ٢٠٠٣، كان يقصر طوعاً تدخّله على أشدّ الظروف ضرورةً. علاوةً على ذلك، ظلّ السيستاني داعمًا لعملية دمقرطة العراق، ومشروع إقامة دولة مدنية فيه، استنادًا إلى دستور ٢٠٠٥ العلماني إلى حدّ كبير، وإلى مجموعة القوانين الموجودة. وأيّ خَلَفٍ للسيستاني سيضمن استمرار المسار الراهن للسياسة العراقية، ويمنع حدوث صدمات غير متوقعة، وغير مرحّب بها، تضرب ظروف العراق السياسية الهشّة. وأيّ تحوّل في هذا التأثير يقوم به خليفة مختلف عقائديًا سيأخذ البلد إلى هاوية سياسية سحيقة.

إنّ خلافة السيستاني أمرٌ بالغ الأهمية لأنه أنشأ شبكةً واسعةً من الولاءات لن تتحوّل بيُسْرٍ إلى مَنْ يخلُفُهُ. وإنّ أحدَ المكونات المهمة في هذه الشبكة هو القوة التطوعية المثيرة للجدل سياسياً وعسكرياً، المعروفة أيضاً باسم قوات الحشد الشعبي، التي نشأت بعد أن أصدر فتوى الجهاد الكفائي التاريخية سنة ٢٠١٤ ضدّ داعش. وعلى الرغم من وجود نظام معقد من الولاءات يمتدّ من الانتماءات المحلية إلى الصلات الأجنبية المتشابكة، فإن الحشد الشعبي يستمد شرعيته من السيستاني، الذي هو الرقيب الوحيد المؤثر على تصرّفات الحشد. سيؤدي غياب السيستاني إلى حلّ الإطار الذي يربط هذه الوحدات المستقلة أساساً، ويطلق العنان لولاءاتها الخاصة، مما يقيم صعوبةً بالغةً أمام الحكومة العراقية لإبقائها تحت السيطرة، أو توجيه أنشطتها المستقبلية لما فيه خير البلاد – وهو إعادة هيكلتها تحت قانون الحشد الشعبي لسنة ٢٠١٦ – وهي عملية بدأها رئيس الوزراء عادل عبد المهدي بعد تسنمه رئاسة الوزراء.[٣]

أمّا توقيتُ خلافة القائدين في إيران والعراق فهو مسألة مهمة أخرى. ستتركُ وفاة أيّ منهما فراغاً قد يؤدي إلى تغيير جذري في توازن السلطة الحالية. وبالنظر إلى طبيعة الخلافة في كلّ حالة، والمواقف المختلفة للزعيمين، يبدو أنه إذا توفّي السيستاني أولاً، فسيواجه العراق تحدياً أكبرَ في حقبة ما بعد السيستاني ممّا ستواجهه إيران إذا توفّي الخامنئي أولاً. وبحسب تعبير أحد رجال الدين المؤثرين في النجف، يقول:

٣ أصدر رئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي الأمر الديواني رقم ٢٣٧ بتاريخ ٣٠ حزيران/يونيو ٢٠١٩ لبدء تطبيق القانون المتعلق بقوات الحشد الشعبي.

"إذا مات السيستاني أولاً، قد يتوجّب علينا أن نجمع أمتعتنا ونغادر النجف".[٤] كان يشيرُ بقوله هذا إلى الإدارة الإيرانية لبيئة النجف الفكرية، التي يضع حدودها حالياً وجود السيستاني. وبفضل تسامح السيستاني واحترامه لحرية الفكر والاختلاف، تشهدُ النجفُ، بوصفها مركزاً دينياً، أكبر العصور تسامحاً في تاريخها برمّته.

## آية الله العظمى السيستاني: دوره وخلفاؤه المحتملون

إنّ آيةَ اللّه العظمى علي السيستاني أكثر القادة نفوذاً في العراق منذ الإطاحة بصدام حسين عام ٢٠٠٣. فمع أنّه مواطن إيرانيّ، منحتْه إقامتُهُ المستمرة بالعراق، منذ العام ١٩٥١، وموقع المرجع الأعلى الذي حازه في حوزة النجف شرعيةً في تولي دور مركزي في الشؤون العراقية العامة.[٥] أمّا طريقتُهُ في التدخل المحدود في العملية السياسية، ودعمه لدولة مدنية وديمقراطية وغير دينية، فيُضفي على دوره المزيد من الشرعية. ولذلك حظيت آراؤه في الشؤون العراقية باعتراف العراقيين واحترامهم، وكذلك المجتمع الدولي.[٦] وغالبًا ما استشاره ممثلو الأمم المتحدة في العراق، وقام الأمين العام السابق للأمم المتحدة بان كي مون بزيارته في النجف سنة ٢٠١٤. ومعروف أنّ السيستاني لا يستقبل قادة سياسيين أجانب، بيد أنّ الأمم المتحدة مستثناة من هذه القاعدة. وصحيحُ القول إنّ كلّ قرار دوليّ مهمّ يخصّ مستقبل العراق السياسي بعد حقبة صدام حسين أخذ بالحسبان أيّ ردّ فعلٍ محتمل من آية اللّه العظمى.

كان دور السيستاني، في شؤون العراق المحلية، بالغ الأهمية. إذ كان الصوت الحاسم في الطريقة التي أُجريت بها عملية كتابة الدستور، حين أصرّ على تشكيل لجنة منتخبة لكتابته. ومع أنّ رأيه بهذا الصدد كان النهج الصحيح، كانت له عواقبُ غيرُ مقصودة عندما انتهى الأمرُ إلى انتخاب لجنة غير مهيأة لكتابة الدستور، وتفتقر إلى فهم أساسيات النزعة الدستورية. فقد كان أعضاء اللجنة أكثر إلماماً بانتماءاتهم العرقية والطائفية من إلمامهم بالحكمة السياسية.

أمّا في مجال العلاقات الاجتماعية فيستحقّ السيستاني اعتبارًا كبيرًا، لأنه حفظ العراق من مغبّة الانحدار إلى حرب أهلية شاملة، وذلك بجهوده الحثيثة في منع الشيعة من البدء بأعمال عنف طائفية، أو الانتقام استجابةً للاستفزازات العنيفة، مثل تدمير ضريح الإمامين العسكريين بسامراء.[٧] بأيّ حال، فإنّ دور السيستاني الأكثر رسوخاً في الذاكرة ستكون فتواه التاريخية التي دعت جميع العراقيين للانضمام إلى القوات المسلحة ومحاربة داعش بعد استيلائها على الموصل يوم ١٠ حزيران ٢٠١٤، وتوسعت في غضون أيام قليلة للسيطرة على ما يقرب من ثلث الأراضي العراقية، لتشكّل أخطر تهديد لوجود العراق في تاريخه الحديث. لقد أصدر السيستاني فتوى جهاد كفائي نادرة، فتوى لم يصدر لها مثيلٌ منذ قرن، في أعقاب انهيار الجيش العراقي، وعجز الحكومة، واليأس من الحصول على مساعدة المجتمع الدولي.[٨] فاستجاب عشرات الآلاف للفتوى وقاتلوا ضدّ داعش، فأعادت القوات المسلحة العراقية تجميعَ صفوفها وبناء استعدادها القتالي، وبُنيَ تحالف دوليّ لمساعدة هذه الجهود.

إنّ مكانة السيستاني الفذّة تشيرُ إلى أنّ خلافة المرجع الأعلى، لأول مرة في تاريخ العراق، تكتسي أهميةً قصوى. فقد كانت سابقاً مسألةَ قيادة روحية وفقهية، ذات أهمية سياسية طفيفة؛ ولم يكن موتُ مرجع ما يؤثر في مسار الحياة السياسية على الإطلاق. وكان رجَال الدين الأتقياء، في حالات عديدة، يمتنعون من التصدّي لهذه المسؤولية، وكُبحت طموحات العديد من الجديرين منهم بالخوف ممّا قد يعانون في ظل أرباب الدكتاتورية القساة مثل صدام حسين. إنّ خليفة السيستاني، من ناحية أخرى، سيرثُ موقعاً ذا تأثير غير محدود، وقدرة على صياغة مستقبل العراق لعقود قادمة. أمّا

٤ مقابلة غير رسمية أجراها عباس كاظم مع أحد كبار علماء النجف في ٢ أيار/مايو ٢٠١٩.

٥ المرجع لدى المسلمين الشيعة هو مصدر للتوجيه الديني يتم تقليده أو اتباعه. للاطلاع على سيرة ذاتية وجيزة لآية اللّه العظمى السيستاني، راجع عمل Abbas Kadhim, "Sistani: Ali Husseini," in Michael R. Fischbach, ed., *Biographical Encyclopedia of The Modern Middle East & North Africa Vol. II* (Farmington Hills: Gale, 2008), 772–776.

6 For a detailed discussion of Sistani's leadership style, see Abbas Kadhim, "Forging a Third Way: Sistani's Marja'iyyah between Quietism and Wilayat al-Faqih," in Ali Paya and John L. Esposito, eds., *Iraq, Democracy and the Future of the Muslim World* (Abingdon: Routledge, 2010), 66–79.

7 Robert F. Worth, "*Blast Destroys Shrine in Iraq, Setting Off Sectarian Fury*," *New York Times*, February 22, 2006, https://www.nytimes.com/2006/02/22/international/middleeast/blast-destroys-shrine-in-iraq-setting-off-sectarian.html.

8 See Abbas Kadhim and Luay Al Khatteeb, "What Do You Know About Sistani's Fatwa?" *Huffington Post*, September 9, 2014, https://www.huffpost.com/entry/what-do-you-know-about-si_b_5576244.

عددُ رجال الدين، من المؤهلين ومن غير المؤهلين، أولئك الذين يستعدون لدخول الحلبة، فهو عددٌ غيرُ مسبوق.

## ما طريقة الاستخلاف في النجف؟

بخلاف عملية استخلاف المرشد الأعلى في إيران، المقنّن تقنيناً تامّاً في الدستور الإيراني (المواد ١٠٧–١١١)، لا يوجد إجراء معيّن لخلافة المرجع في مرجعية النجف، ولا دور للدولة في اختيار خليفة له، ولا حتى ثغرة لتوجيه التوازن لصالح أحد المنافسين على الآخر. فهناك معياران لاختيار المرجع: التقوى والأعلمية في الفقه. وهو تكليف كلّ فرد شيعيّ، أيّ شخص ليس عالماً، أن يستعلم عن شخصية العالم الأعلم الحيّ على وفق هذين المعيارين، واتباع فتواه في كلّ ما يتعلق بالدين والدنيا. وهذه الفتاوى موجودةٌ في الكتب التي ينشرها العالم، أو تُؤخذ منه مباشرةً، أو من مكتبه، أو من وكلائه المعتمدين. وعند وفاة العالم، يمكن لمقلّديه أن يتحولوا إلى العالم الأعلى منزلةً، أو إذا أجاز لهم، يمكنهم مواصلة تقليده في القضايا التي تناولها، والرجوع إلى العالم الأعلم الحيّ في المسائل الجديدة. أمّا مسألة تحديد أكثر العلماء المؤهلين للمرجعية فهي عموماً مهمة العلماء من رتبة آية اللّه ممّن يدرسون في الحوزات، ويتمتعون بفرصة اللقاء بآيات اللّه العظمى، ويمتلكون المعرفة والخبرة اللازمتين لتمييز مراتب كبار العلماء.

لم يحدث إلاّ نادراً أن وُجد مرجعٌ واحدٌ بلا منازع. فعلى الأغلب، كان هناك بعض العلماء المرموقين يقلّدهم الشيعة. ومع ذلك، كان هناك على الدوام مرجعٌ واحدٌ يشار إليه على أنه المرجع الأعلى. ومع أنّ هذا ليس منصباً رسميّاً، يتمتّع صاحبُهُ بنفوذ كبير بين الشيعة، والسيد علي السيستاني هو المرجع الأعلى حالياً. وخلافة المرجع الأعلى عملية لا شكل لها، فالجماعة تأخذ بالحسبان عدداً قليلاً من الأسماء لتحديد الأعلم. وفي بعض الحالات، تُحسَمُ الخلافة في وقت قصير نسبيّاً (أسابيع أو أشهر)، غير أنها في حالات أخرى تستغرق سنوات عدة. وكما ذُكر سابقاً، كانت المخاطر السياسية محدودةً في الماضي، فلا يعني كثيراً من الناحية السياسية من هو المرجع الأعلى.

بالنظر إلى الدور المؤثر لآية اللّه العظمى السيستاني في السياسة العراقية اليوم، فإنّ رحيله عن الساحة سيضع العراق عند مفترق طرق. فمن ناحية، سيضعُ عدم تحديد خليفته بسرعة العراقَ في فراغ سياسي هائل، ينجم عنه ضعف خطير، فالعراقيون عادة يطلقون على السيستاني "صمّام الأمان للعراق". ومن ناحية أخرى، يضعُ تحديد الخليفة البلادَ بين يديْ الخليفة الجديد لتشكيل مستقبله السياسي بأيّ طريقة يحبّ. إذ يستطيع المرجع الجديد أن يختار مواصلة طريق السيستاني في ضبط النفس، والاحتفاظ لنفسه بدور داعم محايد للدولة، بتدخّل محدود في حالات الضرورة القصوى، أو يمكنه اختيار أسلوب التدخل التدريجي وصولاً إلى ما يشبه نظام ولاية الفقيه في إيران، حيث يملك رجل الدين الأبرز الكلمة الأخيرة في قرارات الحكومة المهمة.

فيما يأتي شخصيات تُعَدُّ من خلفاء السيستاني المحتملين، أو هم مرشحون أقوياء للمرجعية في المستقبل القريب.

**الشيخ إسحاق الفياض:** وُلد في أفغانستان سنة ١٩٣٠. الشيخ الفياض وآية اللّه العظمى السيستاني هما الأعلم من بين الطلاب الأحياء لآية اللّه العظمى أبو القاسم الخوئي. إنه يجسّد صورة العالم المحقّق في حوزة النجف، الذي قضّى كلّ حياته وانشغاله في إتقان عمله العلميّ. ولذلك، لعلّه يكون الشخص الأكثر أهليّةً لخلافة السيستاني، إذا عاش بعد السيستاني. وبأيّ حال، لأنّه أفغانيّ، قد يجعل هذا الأمرُ صعودَهُ إلى موقع أعلى مرتبة صعبةً إلى حد ما، وغير مسبوقة. يقف الفياض، مثلُهُ مثلُ السيستاني، ضد تورّط رجال الدين في السياسة، وينظر إلى أولئك المعممين الذين تولّوا مناصب سياسية رسمية على أنهم لا يستحقون احترام الناس.[٩]

**السيد محمد سعيد الحكيم:** ولد في النجف سنة ١٩٣٤. هو حفيد المرجع البارز السيد محسن الحكيم (توفي سنة ١٩٧٠). تتلمذ على جدّه وعلى آية اللّه العظمى أبو القاسم الخوئي. ويُعَدُّ أحدَ كبار العلماء في النجف، وكونه عراقيّاً، فهو المرشح

٩ حوار مع عباس كاظم، كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠.

الأول لخلافة السيستاني. وعلى أيّ حال، قد تحولُ حالتُهُ الصحيةُ دون النهوض بهذه المهمة الشاقة في السنوات المقبلة. وهذا أمرٌ مهمٌّ، لأنه سيكون من الصعب التعامل مع خليفتين في وقت وجيز، وهو ما حدث سنة ١٩٩٢ عندما توفي السيد الخوئيّ. فقد توفّي خليفته آية اللّه العظمى عبد الأعلى السبزواري في غضون سنة، فتسبب في مأزق جديد. وبخلاف سنة ١٩٩٢، فإنّ البيئة الاجتماعية والسياسية الحالية في العراق أقلُّ تسامحاً مع عدم استقرار القيادة في المرجعية. فإذا اعتُرضت الاستمرارية المثالية بقيادة السيستاني، فإنّ ثاني أفضل خيار هو الحدّ الأدنى من الاعتراضات والخلافات.

**الشيخ محمد باقر الإيرواني:** وُلد في النجف سنة ١٩٤٩. وهو أحدُ أبرز أساتذة الحوزة في النجف. تتلمذ الإيرواني على أهمّ علماء النجف: آية اللّه العظمى الخوئي، وآية اللّه العظمى محمد باقر الصدر، وآية اللّه العظمى السيستاني. غادر النجف خلال السنوات الصعبة التي حكم فيها صدام حسين، وعاش في قم بإيران، حيث تتلمذ على آية اللّه العظمى جواد التبريزي، ودرّس في حوزة قم سنوات عديدة. انتهى منفاه بعد انهيار نظام صدام حسين. فكان لسنوات مديدة أحد أعمدة التدريس في الحوزات الشيعية. قدّمتْ محاضراتُهُ الصوتية مواد غنية للطلاب والباحثين الذين لا يستطيعون السفر إلى قم أو النجف لحضور حلقته للتدريس، وهو حالياً من أكثر الأساتذة شعبيةً بين طلاب البحث الخارج.

**الشيخ هادي آل راضي:** وُلد في النجف. وتتلمذ على السيّد محمد باقر الصدر في العراق والتبريزي في إيران. وقد ألقى محاضرات عن ولاية الفقيه في النجف بعد عودته من إيران. وطبقاً لأحد طلابه، يتفق رأي الراضي في ولاية الفقيه مع موقف السيستاني.[١٠] إن للفقيه، بحسب رأي السيستاني، سلطةً عامةً في الأمور الأساسية، لكن مجاله لا يشمل السلطات الضخمة التي يمنحها الدستور الإيراني للفقيه.

**الشيخ محمد السند:** وُلد في المنامة في البحرين سنة ١٩٦١. وبعد أن نال شهادة في في الهندسة من لندن، انتقل إلى إيران سنة ١٩٨٠ لحضور الدروس الدينية التقليدية في مدرسة قم. تتلمذ على كبار العلماء في قم منهم آية اللّه محمد روحاني، وجواد التبريزي، ووحيد الخراساني، وميرزا هاشم آملي. اعتقلتْهُ السلطات البحرينية سنة ٢٠٠٥ لدعوته الأمم المتحدة إجبار الحكومة البحرينية على التنحّي، وإجراءِ استفتاء على نوع الحكومة التي يرغب فيها البحرينيون. وأُلغيتْ جنسيته البحرينية لاحقًا. وفي سنة ٢٠١٠، انتقل إلى النجف وأصبح أحد أعمدة حوزتها.

على الرغم من أن الشيخ الإيرواني، والشيخ آل راضي، والشيخ السند، من بين آخرين في جيلهم، مؤهلون للتصدّي لدور المرجع الأعلى، يواجهون بضع عقبات. أولها شرط الأعلمية المطلقة. ولأنّ هذا الشرط مستحيل تأكيده، يصبح العمر مَزيّةً كبرى. أما بعض العلماء المؤهلين، مثل أبناء السيد السيستاني، فيحول دون تأهّلهم تقليدُ جارٍ ضد التعامل مع موقع المرجعية موقعاً يمكن توريثُهُ. أمّا العقبةُ الأخرى التي تواجه هذه الطبقة من العلماء فهي دورهم خبراءَ يحددون للعامّة أكثر العلماء أهليةً للتقليد. فإذا دخلوا حلبةَ التنافس على المرجعية، ستكون آراؤهم مشوبةً بتضاربٍ واضحٍ في المصالح.

## خلافة المرجعية في إيران

سنة ١٩٨٩، توفّي آية اللّه روح اللّه الخميني، الزعيم الأكبر للثورة الإسلامية، من دون خليفة واضح. كان الخميني قد عيّن بدءاً رجلَ دينٍ كبيراً هو حسين علي منتظري، لكنه أسقطه بعد أن انتقد منتظري النظام بشدة لإعدامه آلاف السجناء السياسيين في أعقاب الحرب بين إيران والعراق. اختارت النخبة الدينية في البلاد، بقيادة رئيس البرلمان آنذاك علي أكبر هاشمي رفسنجاني، الرئيسَ آنذاك علي الخامنئي، وهو رجل دين من المستوى المتوسط، وعدّلت الدستور ليُتاح له أن يخلُفَ الخميني. وأزال الدستور الجديد أيضًا منصب رئيس الوزراء، ومنح السلطة التنفيذية للرئيس. فخاض رفسنجاني الانتخابات وفاز بالرئاسة.

١٠ مقابلة مع عباس كاظم. وفقًا للتقليد السائد منذ فترة طويلة، يفضّل طلاب الحوزة العلمية عدم الكشف عن هويتهم عند التحدث عن مرشديهم حتى إذا لم تكن آراؤهم جدلية أو حساسة.

ولكنه حين كان في البداية أكثر نفوذاً من الخامنئي، أخملَهُ الخامنئي، وأقام تحالفاً قويًّا مع الحرس الثوري الإيراني وغيره من المؤسسات الأمنية. هذه المؤسسات التي كانت ضعيفة في نهاية الحرب الإيرانية العراقية، نمت منذ ذلك الحين ثروةً وسلطةً إلى حدّ كبير، ومن المرجح أن تؤدي دور صانع الملوك في اختيار خليفة الخامنئي، أي الدور الذي أدّاه رفسنجاني سنة ١٩٨٩.

على الرغم من موقع الخامنئي في قمة الحكومة الدينية، لا ينظر الشيعة إليه شخصيةً روحيةً في إيران أو خارجها على نطاق واسع. بدلاً من ذلك، يضارعُ موقعُهُ موقعَ السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي القديم؛ رئيس الموظفين الذي تدعمُهُ الدولة العميقة. وهكذا، فإنّ خليفته لا يحتاج إلى أن يكون من بين رجال الدين الكبار؛ بل الراجح أنه سيكون شخصًا لديه تجربة عمل مكثّفة في الحكومة، فضلًا عن العلاقات الوثيقة مع الحرس الثوري.

بافتراض أن الدستور لا يتعرّض للتغيير مرة أخرى، سيرث خليفة الخامنئي قوة هائلة بموجب الدستور الحالي، فهو قائد القوات المسلحة، وهو الذي يقومُ بتعيين قادة الفرق العسكرية، وأئمّة صلاة الجمعة الذين يروّجون لخطّ المرشد ومواقفه في جميع أنحاء البلاد، وممثّلي كلّ مؤسسة حكومية كبرى، وهو يسمّي نصفَ أعضاء مجلس صيانة الدستور، وهو هيأة تقوم بفحص جميع المرشحين لمنصب انتخابيّ. وهو أيضاً يسمّي رئيس السلطة القضائية – الذي يقومُ باقتراح الأعضاء الستة الآخرين في مجلس صيانة الدستور – ويعيّن مدير الإذاعة والتلفزة. وبيدِهِ أيضاً الموارد المالية الهائلة المصادرة من الملكية الإيرانية والطبقات العليا في العام ١٩٧٩.[11]

بأيّ حال، لا يُعَدُّ المرشد الأعلى ديكتاتوراً بالمعنى الكامل للدكتاتور. فعند اتخاذ قرارات مهمة، من تلك التي تخصّ السياسة الخارجية، كان الخامنئي يسعى إلى إجماع في الآراء داخل المجلس الأعلى للأمن القومي في البلاد، وهو مجلس فيه الرئيس، ورئيس البرلمان، ووزراء الاستخبارات والشؤون الخارجية والدفاع. وقد يتشاورُ مع مجلس تشخيص مصلحة النظام، المكلّف بحلّ النزاعات بين مؤسسات الحكومة، آخذاً بالحسبان مشاعر الناس. ومع ذلك، فللقائد الكلمة الفصلُ.

في بعض الأحيان، ينشبُ جدلٌ بين النخبة السياسية الإيرانية عن تعديل الدستور مرة أخرى، للحدّ من صلاحيات القائد، واستبداله بمجلس، أو حتى إزالة هذا المنصب تماماً. وفي العام ٢٠٠٥ أحرجَ رفسنجاني عندما قال أحدُ أبنائه في مقابلة أنه إذا أُعيد انتخاب رفسنجاني رئيساً للمرة الثالثة في تلك السنة، فسيجعل منصب القائد رمزياً "مثل ملك إنجلترا".[12] ولعلّ ليس من قبيل المصادفة أن خسر رفسنجاني الانتخابات لصالح محمود أحمدي نجاد الذي عَدَّهُ الخامنئي أقلَّ تهديداً. توفي رفسنجاني في العام ٢٠١٧، وليس هناك شخصية مثله ذات ثقل في مشهد السياسة الإيرانية.

يحذّرُ خبراء في السياسة الإيرانية المعقدة من أن تحديد خليفة محتمل للخامنئي إنّما هو محاولة تخمينية ستتأثر يقيناً بمدة بقاء الخامنئي حيّاً، وبالظروف المحلية والإقليمية آنَ وفاته. سيكون لأيّ خليفة له، في أحسن الأحوال، مكانة علمية واعتبارية وسياسية معتبرة. في بعض الأوقات، كان يُعتقد أن النظام يُعِدُّ آية اللّه محمود هاشمي شاهرودي المولود في العراق، والرئيس السابق لمجلس القضاء، خليفةً محتملاً إمّا للخامنئي أو للسيستاني، لكنه توفّي في العام ٢٠١٨. وحين يحدّد خلافةَ المرجع في النجف حجمُ المقلّدين وأعدادهم، فإنّ مقتضيات حكم إيران هي أن التجربة السياسية وشبكة العلاقات المؤثرة تكادان أن تحدّدا المكانة العلمية والاعتبارية في اختيار المرشد الأعلى المقبل.

ما يأتي مجموعة من الشخصيات المهمة في مسألة خلافة الخامنئي حتى كتابة هذه السطور:

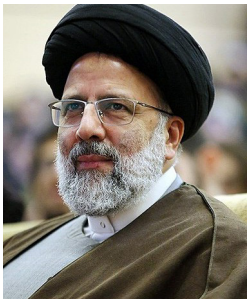

### إبراهيم رئيسي

يبلغ عمرُ السيد إبراهيم رئيسي ثمانية وخمسين عاماً، وهو عمرٌ يمكّنه من أن يبقى فترة طويلة في المنصب إذا توفي الخامنئي في المستقبل القريب. وهو سيّد يتحدّرُ من نسل النبي، مثله مثل الخامنئي والخميني، وأحد البيروقراطيين المخضرمين، أمضى الأعوام التسعة والثلاثين

11 Steve Stecklow, Babak Dehghanpisheh, and Yeganeh Torbati, "Khamenei Controls Massive Financial Empire Built on Property Seizures," Reuters, November 11, 2013 https://www.reuters.com/investigates/iran/#article/part1.

12 Barbara Slavin, "Iran Looks, Again, to 'Experienced Captain,'" *USA Today*, February 7, 2005, https://en.kadivar.com/2005/02/06/iran-looksagain-to-experienced-captain/.

الماضية في السلطة القضائية للجمهورية الإسلامية.[13] وفي العام ٢٠١٩، عيّنه الخامنئي رئيساً للسلطة القضائية. واختيرَ أيضاً سكرتيراً لمجلس الخبراء، وهي هيأة من علماء الدين مكلفة باختيار القائد الأعلى القادم. وهو علاوة على ذلك صهرُ أحمد علم الهدى، والأخير آية اللّه من الجناح اليميني ذي النفوذ القويّ، وإمام صلاة الجمعة في ضريح الإمام الرضا في مدينة مشهد، وممثل الخامنئي في محافظة خراسان. وبأيّ حال، لا يمتلك إبراهيم رئيسي كاريزما معروفة، وخسر في السباق الرئاسي أمام حسن روحاني في انتخابات ٢٠١٧. ووضعُهُ مثيرٌ للجدل كونُهُ أحدَ أربعة أعضاء ما يسمى "لجنة الموت" التي أمرت بتنفيذ إعدام فوريّ بخمسة آلاف سجين سياسيّ في أعقاب الحرب العراقية الإيرانية.[14]

### حسن روحاني

ما دامت إدارة ترامب انسحبت من الاتفاقية النووية الإيرانية في أيّار ٢٠١٨، بات الرأي المألوف هو أن حسن روحاني خارج عملية الترشح لمنصب القائد الأعلى. إنّ إعادة فرض الولايات المتحدة عقوبات أخرى كانت، على نحو واضح، ضربةً مدمرةً للآمال المعقودة على خطة العمل الشاملة المشتركة لإعادة دخول إيران في الاقتصاد العالمي وتوفير الاستثمارات الأجنبية والتجارة المطلوبة بإلحاح. ومع ذلك، فإن الخبراء لا يحكمون تماماً باستثناء روحاني من اختياره خَلَفاً للخامنئي. يمثّل روحاني، مثل رفسنجاني، دعامة مرنة للجمهورية الإسلامية، فقد تولّى وظائف متعاقبة مهمة. إنه الآن في السبعين يقضّي ولايته الثانية رئيساً لإيران، وكان ممثل الخامنئي في المجلس الأعلى للأمن القومي خلال سنوات ١٩٨٩–٢٠٠٥. روحاني ليس ليبرالياً على الرغم من وعود حملاته الانتخابية بفتح مجال للمجتمع المدني الإيراني. قد تكون حظوظ روحاني ارتفعت في الآونة الأخيرة عندما أصبح أول رئيس للجمهورية الإسلامية يستقبله آية اللّه العظمى السيستاني في النجف.[15]

### صادق لاريجاني

ينتمي الشيخ صادق لاريجاني إلى واحدة من أكثر الأسر الإيرانية نفوذاً، وكان قد خَلَفَهُ إبراهيم رئيسي رئيساً للسلطة القضائية. ينتمي إلى أسرة لاريجاني، المتحدّرة من آية اللّه الشهير هاشم آملي، علي لاريجاني، وهو مستشار الأمن القومي الأسبق، ورئيس البرلمان الآن، والفيزيائي البارز، ورجل الدين العضو في مجلس صيانة الدستور. صادق لاريجاني، وعمرُهُ ثمانية وخمسون عاماً، هو أيضاً عضو في مجلس الخبراء، وجاء في المرتبة الثانية بعد إبراهيم رئيسي في الانتخابات الأخيرة لمنصب أمين المجلس. وعلى أيّ حال، فالسخط على أسرة لاريجاني واسع في إيران، ويُعتقد أنها أَثْرَتْ من الفساد. انتقد الرئيس الأسبق محمود أحمدي نجاد مراراً أسرة لاريجاني، بفعل غضبه من أن العديد من كبار مساعديه قد سجنوا منذ مغادرته رئاسة الجمهورية، وهدّد بكشف أدلة على ممارسات فساد قام بها أعضاء من أسرة لاريجاني.[16] قد تتضاءل حظوظ صادق لاريجاني أيضاً لأنه وُلد بالعراق، وليس بإيران.

### حسن الخميني

السيد حسن الخميني واحد من خمسة من أحفاد مؤسس الجمهورية الإسلامية، في السابعة والأربعين من العمر، وهو غير متحفّظ في ليبراليّته في سياق السياسة الإيرانية الراهنة، قياساً بالمحافظين. يبدو أنّ تحدّيه للنظام – من قبيل نقده للنخبة السياسية لـ"نشر الكراهية، والضغينة، والنفاق، والمعايير المزدوجة، والخداع" – يمنحُهُ فرصة ضئيلة ليحلّ محلّ الخامنئي.[17] في العام ٢٠١٦، منعه مجلس صيانة الدستور من الترشح لانتخابات مجلس الخبراء. ولكن، إذا وقعت إيران في أزمة آنَ وفاة الخامنئي، وتحتاج إلى

13 Mehrzad Boroujerdi, "Ebrahim Raisi: Iran's New Chief Justice and Possible Supreme Leader in Waiting," *IranSource*, March 11, 2019, https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/ebrahim-raisi-iran-s-new-chief-justice-and-possible-supreme-leader-in-waiting.

14 Ibid.

15 Ali Mamouri, "Sistani to Rouhani: Iraq's Sovereignty Must be Respected," *Al-Monitor*, March 14, 2019, https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2019/03/iraq-iran-rouhani-sistani-us.html.

16 "Ahmadinejad Fails To Produce Evidence, Calls For Top Judge's Resignation," Radio Farda, December 20, 2017, https://en.radiofarda.com/a/iran-ahmadinejad-larijani-dispute/28929011.html.

17 "Khomeini's Grandson Criticizes the Islamic Republic His Grandfather Founded," Radio Farda, December 30, 2018, https://en.radiofarda.com/a/iran-khomeini-grandson-criticizes-islamic-republic/29683893.html.

وجهٍ جذّاب وأرومة معروفة لتهدئة الجمهور واستعادة بعض الشرعية، ربما تكون لدى حسن الخميني فرصة.

### مجتبى الخامنئي

هو نجل القائد الأعلى الحالي علي الخامنئي، في التاسعة والأربعين من عمره، ويتمتع بسلطة هائلة لعمله تحت مظلّة والده. يُشاع عنه أنه قام بدور أساسيّ في عملية إعادة انتخاب أحمدي نجاد عام ٢٠٠٩ رئيساً لإيران، وفي إخماد الاحتجاجات الجماهيرية التي أعقبت ذلك.[١٨] وسيكون مثل هذا الاختيار خلافياً في إيران، فالنظام يفتخر بأنه قلب الحكم الملكيّ القائم منذ آلاف السنين في إيران. غير أن لدى مجتبى خامنئي ما يلزم من علاقات مع الحرس الثوري والبسيج، وكذلك نظرته الثاقبة للموارد المالية الضخمة عند والده.

### محمد ريشهري

الشيخ محمد الريشهري، في الثانية والسبعين من عمره، وهو مرشح حظوظه ضئيلة. وهو وزير الاستخبارات إبّان الثمانينيات، اقترن اسمُهُ بالأيام المبكرة العنيفة للثورة، وظلّ خارج المشهد السياسي أزيد من عقد من الزمان بعد محاولة فاشلة للوصول إلى الرئاسة في العام ١٩٩٧. عاد في العام ٢٠١٦، ليترشح فيما يسمى "قائمة الأمل"، ودعمه روحاني والرئيس الأسبق الإصلاحي محمد خاتمي لينضمّ إلى مجلس الخبراء. وهو مجتهدٌ مؤهّلٌ في تفسير الشريعة الإسلامية ومسؤول عن ضريح شاه عبد العظيم (من ذريّة الإمام الحسن بن علي) جنوب طهران. يرى محمد آية اللّه طبار أن ريشهري يمكن أن يكون خيار التسوية.[١٩]

## خاتمة

إنّ آية اللّه العظمى علي السيستاني في النجف وآية اللّه علي الخامنئي، المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية، هما اليوم خلفيتا آية اللّه العظمى أبو القاسم الخوئي في النجف وآية اللّه روح اللّه الخميني، مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران. وعلى الرغم من حالات التسوية والتعاون بينهما، قدّم كلٌّ منهما فلسفة سياسية فريدة.

الراجحُ أن رحيل السيستاني يخلق فراغًا، إذ ليس هناك عملية أو وسيلة رسمية لخلافته، أمّا النظام الإيراني فقد يعيّن بسرعة قائداً جديداً بتصويت مجلس الخبراء.

إذا توفّيَ السيستاني قبل الخامنئي، ستزداد الشكوك في الاستقرار السياسي للعراق واستقلاله. وسيكون الخامنئي، بخبرة تربو على ثلاثين عاماً في حكم إيران والتعامل مع الشؤون الدينية والسياسية في منطقة أوسع، مؤثراً على الأرجح في اختيار خليفة السيستاني ودعم مرشح متعاطف مع وجهات النظر الإيرانية. وستستفيد أيضاً قوات الحشد الشعبي العراقية التي تدعمها إيران من أيّ فراغ روحيّ في النجف، على حساب أتباع السيستاني شديدي الولاء، إذ سيستغرق الأمر وقتاً حتى يتصدّى مرجعٌ جديدٌ معترفٌ به.

ومن ناحية أخرى، إذا توفّيَ الخامنئي قبل السيستاني، لن يرثَ خليفةٌ معيّنٌ سلطتَه الكبيرة فوراً، وسيحتاج أيضاً إلى أن يختبرَ السياسة الإيرانية الداخلية المعقدة. وهذا الخليفة المعيّن قد لا يكون قادراً على توسيع نفوذه في الخارج حتى يوطّد سلطتَه في الداخل. ومن هنا، ومن وجهة نظر اجتماعية سياسية، كلّما عاش السيستاني مدةً أطول كان ذلك أفضل للعراق.

ومع ذلك، تبقى غيرَ مؤكدة مسألةُ مَنْ يتولّى الأمور في النجف وطهران، وبأيّ شكل أو نظامٍ يكون الاستخلاف. لكنّ المؤكد هو أن العواقب الجمّة لهذا الاستخلاف سيتردد صداها في الشرق الأوسط والعالم.

18 Julian Borger, "Khamenei's Son Takes Control of Iran's Anti-Protest Militia," *Guardian*, July 8, 2009, https://www.theguardian.com/world/2009/jul/08/khamenei-son-controls-iran-militia.

١٩ مقابلة مع باربارا سلافن بتاريخ ١٤ آذار/مارس ٢٠١٩.

## عن المؤلفين

**الدكتور عباس كاظم** مدير برنامج مبادرة العراق في المجلس الأطلسي وهو متخصص في الشأن العراقي ومؤلف كتاب "استعادة العراق: ثورة ١٩٢٠ وتأسيس الدولة الحديثة."

**باربارا سلاڤن** مديرة برنامج مستقبل إيران في المجلس الأطلسي. زارت إيران تسع مرات. وهي مؤلفة كتاب Bitter Friends, Bosom Enemies: Iran, the US and the Twisted Path to Confrontation

## مرجعية الصور:

الصفحة ٦: الشيخ محمد باقر الإيرواني – المصدر: *http://m-mahdi.net/sada-almahdi/persons-3*
الصفحة ٦: الشيخ هادي آل راضي – المصدر: *https://www.youtube.com/watch?v=5h8i3MHZImY*
الصفحة ٦: الشيخ محمد السند – المصدر: *http://m-sanad.com/ar/archives/book/1326*

كل الصور الأخرى غير مذكورة المصدر هي من ويكيبيديا كومنز.

أُنجز موجز النشرة هذا بدعمٍ من شركة نفط الهلال ومؤسسة بلاوشيرز فاند وبفضل المساعدة العمومية المقدّمة لبرامج الشرق الأوسط في المجلس الأطلسي.